الذوق مما اكبرناه كثيراً على من كن في اعمارهن وقرب مدتهن في التعلم ثم القت علينا في اثناء الامتحان السيدة بهية كريمة سعادة الوجيه فرغلي بك السيد خطبة نفيسة حوت لارق المعاني وكانت اوفى دليل على اقتدار تلك المدرسة ومبلغ التعليم فيها وقد كنا نود اثباتها في هذا الجزء لولا تأخرها ولعلنا ننشرها في الجزء القادم زيادة في الدلالة على هذه المدرسة التي نثني على حضرة مديرتها الاديبة ونتمنى لها اقبال الوطنيين ومساعدتهم

مُلَحٌ

جيء بمجرم الى قاض فقال له القاضي ما اسمك فاجابه ارجوك ياسيدي ان تعفيني من هذا السؤال لانني قادم الى هذه المدينة متنكراً

* * *

التقى احد المشايخ بشيخ مثله فقال له ماذا يفعل الشيخ النحس اليوم فاجابه على الفور يشتمني

* * *

قالت امرأة لزوجها ارى طفلنا ساكتاً الآن فبماذا تراه يفتكر قال لادري ولكن لعله يفتكر في الموضوع الذي سيبكي من اجله هذه الليلة

* * *

قال قاض لسارق انني اذكر انني اعرفك واننا كنا معاً في المدرسة فلماذا صرت سارقاً فاجابه على الفور لتصير انت قاضياً

ابن السبيل

﴿ الجزء السابع — السنة الرابعة ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠١ ﴾

﴿ الموافق ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣١٩ ﴾

عود على بدء

للمرأة الشرقية منا في كل جزء من هذه المجلة بحث جديد نعود به على بدء ما تقدم عنها ما دامت مجلتنا نسائية مطلقة الحق في هذا الشأن ملزمة بالواجب في الدفاع عنها وما دامت مجلاتنا وجرائدنا متابعة الجدال في شأن حقوقها او رفع الحجاب عنها

على اننا نعلم ان البحث في هذا الشأن الان مما لا يفضي بالعاجل الى تحقيق شيء من امال النساء الشرقيات والقائمين بنصرتهن من الكتاب ولكننا نعتقد ان النجاح فيه لا بد ان يتم على التوالي بما يعلق من الحديث عنه في اذهان القراء وما يجدونه من الائتناس به على تكرار الجدال لان النجاح فيه دفعة واحدة كما يريد البعض مما لا يكون الان بل لا يجمل ان يكون مهما بلغت

قوة الاقناع والحجة جرياً على نسق ما تقدم من سائر البدع النافعة التي مات القائمون بها قبل ان يروا بناء ما اسسوا ولسنا الان بمقام مبتكر لقول جديد عن هذه المرأة فوق ما قلناه وقاله سوانا مما كان يكفي للبرهان لولا سنة التدريج ووجوبه بل نحن الان ذاكرون بعض الرد على ما سيجيء

فلقد نشرت مجلتنا الفرنسوية الجديدة « لوتس » في جزئها الصادر بالشهر الماضي مقالة بتوقيع « مصري » عنوانها « العلة الوطنية » اشار فيها الى ان المنافسات التي دعا اليها ظهور كتابي عزتلو قاسم بك امين وهما « تحرير المرأة والمرأة الجديدة » قد دار جلها على الكلام في الموضوع من جهته الدينية دون ان ينصرف احد من الكتاب الى البحث به من جهته الاجتماعية التي انشيء الكتابان من اجلها خاصة . والذي وجدناه نحن ان الجهة الدينية قد تم الاتفاق عليها اخيراً او كاد ولكنه لم يوشك ان يتم ويرى ذوو الحجة الدينية ان دعواهم فيها غير ثابتة حتى تحولوا عنها الى الجهة الادبية الاجتماعية ولكنهم ما وجدوا برهاناً يحوم عليه جدالهم الا المرأة الاوربية المسيحية فاخذوا ينسبونها الى حالات ماوجدنا اقبح منها في وصف نساء النور فضلا عن وصف نساء هن الان زخرف الدنيا وجمال حضارتها والسبب الاكبر في نشوء رجال هم الآن نور العالم الذين بهم نهتدي وبافعالهم نقتدي وليس بعد ذلك من دلالة على تناهي الشطط والتحامل المحض

ولقد كان في جملة ما ذكره حضرة الفاضل « المصري » قوله انه يكفي للدلالة على عدم الاصلاح في اعطاء المرأة الحرية مراجعة التاريخ والعلم بما فعلته الملكات والامبراطورات كأن حضرته يعتقد ان المطالبين بتحرير المرأة في الشرق يريدون ان يكون النساء حاكمات مديرات حتى لا يصلح لهن الحكم

او كانه توهم الجدال دائراً على الفرق في القوة العقلية بين الرجل والمرأة مع ان افضلية الرجل لم ينكرها احد كما انه لم يكن البحث الا في ان يرفع حجاب المرأة لتكون انساناً على الاقل لان حجاب وجه المرأة ليس من شروط الطبيعة في شيء واذا كان حسن التصرف يقضي بحجابها في بعض احوال نادرة فلا يجب ان يحسب ذلك شريعة طبيعية لابد من اتباعها في كل زمان ومكان

ثم اراد حضرته تأييد دعواه السابقة بحالة واقعة بين انظارنا فذكر نساء الاقباط فقال ان جماعة من رجالهن ارتأوا منذ عشر سنين الاقتداء بالاوربيات في سفور الوجه ارادة ان يعود ذلك بالخير اذ تصبح المرأة القبطية اماً صالحة ولكنهم مع كل مافعلوا لم ينتفعوا بشيء كما انه لا يستطيع احد الآن ان يقول ان حال الاقباط ارقى حالاً من اخوانهم ومواطنيهم المسلمين ثم توهم ان دعواه مؤكدة ثابتة لارد عليها فقال انه اذا قيل ان عشر سنوات لا تكفي لظهور الفرق فهو يجيبهم بالمثل العامي القائل « ان الديك الفصيح من البيضة يصيح » يريد بذلك انهم لم يتقدموا في شيء من حيث اتباعهم هذا المبدأ او انهم كانوا كنموذج لما يكون من عدم النجاح في هذا الشأن

اما قوله هذا فمن الغرابة بمكان ولاسيما حين وصفه حالة محسوسة منظورة كما يقول وذلك لان المرأة القبطية قد تقدمت في هذه السنوات القليلة تقدماً فات حد التدريج حتى لقد بلغ عدد البنات اللواتي يتعلمن من الاقباط في المدارس المختلفة نحو ثمانية عشر الف فتاة كلهن او اكثرهن سيصبحن امهات صالحات سافرات الوجوه كنساء اوربا وقد نرى من تهذيبهن لابنائهن ما يرتقي به شأن الاقباط او هذه البلاد كلها ارتقاء لم يكن احد يظنه بل اذا لم يكن من عملهن فائدة الا معرفة شيء يسير من شروط الصحة المنزلية

فقد كفى بها فائدة تشفع بكل مانتوهمه بعد ذلك ضرراً ان كان ثم ضرر مما يدعون. اما ما يقوله البعض من ان المرأة قد تتعلم كل العلم وتكون محجبة فلا نجده صحيحاً لان العلم مقرون بالظهور والمكاشفة وما وجدنا الان ولا قرأنا بالتاريخ ان امرأة كانت عالمة ثم كانت محجوبة بل اما ان يكون الحجاب والجهل التام او السفور وشيء من العلم على الاقل. اما ما يشاهد من العلم مع شيء من الحجاب فانه يكون في بعض الاسر الرفيعة المهذبة وانما نحن نريد المرأة بعمومها من كل طبقة

ثم اشار حضرته الى السوريين بعد ذلك فذكر عنهم ما ذكر عن الاقباط ولقد كنا نكتفي من الرد بما قلناه عنهم اذ كلتا الطائفتين متشابهتان ولكننا نزيد لحضرته شيئاً وهو لينظر الى اطفال المرأة السورية المتحضرة في المدن والى اطفال امثالها من الشرقيات المتحضرات وليرى مبلغ الفرق في موت الفريقين فقط وعندها يعلم كم كان من تعلم المرأة السورية ولو بعض العلم من توفير رجال الغد الذين تشاد الممالك بعديدهم الاكثر وكم كان من جهالة من عكس ذلك على التمام بغيرها اما اذا كان يعتقد ان الفرق بهذا يكون من القضاء والقدر فذلك بحث آخر يتعرض له غيرنا

ثم اشار حضرته الى مجد العرب وما كان لهم من الصولة والعلم فقال انهم قد بلغوا ذلك دون ان تكون المرأة بينهم احسن حالاً من امرأة اليوم الشرقية وهو قول صحيح ولكن الذي نراه ان صولة العرب لم تكن الا صولة نسبية لانهم مهما كانوا جهلاء بالقياس الينا الآن فلقد كانوا علماء بالقياس الى مجاوريهم الذين دوخوهم ولهذا اشتدوا وعظموا

ولكن هذا كان جارياً منهم على طريق قوة الاستمرار فقط حتى اذا

انتهت تلك القوة وقفوا دفعة واحدة وكان اضمحلالهم على غير نسق الاضمحلال الطبيعي الذي ماتت به اكثر الامم ولكن لو علم العرب بناتهم واشتركت الرجل والمرأة في عمران البلاد لكانت تلك الامة العظيمة باقية للآن في الشرق والاندلس على اشد ما كانت عليه من قبل

على انه ليس كل كلام حضرته مما يرد ويدفع بل لقد عرضت له في اثناء مقاله اصابات كثيرة ولا سيما في وصف رجال هذه البلاد وانحطاطهم الى ابعد من انحطاط النساء ولكنه كان في اقراره هذا كانه يقول انه لابد ان تصلح المرأة حتى يصلح الرجل او ان يتعاونا معاً على الصلاح في حين واحد ولكن اصلاح الرجل الحاضر مما لا يمكن الآن اذ من ارقى منه بين امثاله ليصلحه. واما الذي يكون فهو نشوء رجال مثل قاسم بك امين يشيرون باصلاح غلمان المستقبل وبناته ليتم الصلاح من الفريقين معاً ولو بعد حين طويل. وما نقول بعد حين طويل الا على قصد ان يكون هذا القول مذكوراً من الرجال الذين يتعرضون لهذا المباحث لان كل واحد منهم حين تجادله في تحرير المرأة ورفع حجابها يتوهم انك تذكر له امرأته او اخته فيجد ذلك بعيداً عليه ممتنعاً عنه حتى يجد كل اقواله صواباً حين يرد عليك في هذا ولكنك لو ذكرت له ان بنات بناته او ما بعدهن هن المقصودات بهذا التحرير لامكن الاقناع في الحال ولم تكن كل هذه المكابرات التي نسمعها الآن